٦ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثانى

كريتون أو واجب المواطن[1]

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط ، كريتون
مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط ـ ماالذى أتى بك الساعة يا كريتون ؟ إنها الآن جد باكرة

كريتون ـ بلى إنها لكذلك

سقراط ـ كم هى على التحديد ؟

كريتون ـ الفجر فى البزوغ

سقراط ـ عجيب أن يأذن لك حارس السجن بالدخول

كريتون ـ إنه يعرفنى يا سقراط لأننى جئت مراراً ، ولأننى فوق ذلك ذو فضل عليه

سقراط ـ أجئت الآن توا ؟

كريتون ـ كلا بل جئت منذ حين

سقراط ـ إذن فما الذى أجلسك صامتاً ، وكان أخلق بك أن توقظنى على الفور ؟

كريتون ـ حقاً يا سقراط إنى لم أكن لأرضى لنفسى كل هذا الغم والأرق ، ولكنى أخذت بالعجب أن رأيتك فى نعاس هادئ ، فلم أرد لهذا أن أوقظك ، وآثرت لك أن تظل بعيداً عن الأسى ، لقد عرفتك دائماً سعيداً بما لك من مزاج هادئ ، ولكنى لم أر الدهر ضريبا لك فى احتمالك لهذا المصاب مستخفاً باسماً

سقراط ـ إن الانسان يا كريتون إذا عمر ما عمرت فلا ينبغى له أن يجزع من شبح الموت

كريتون ـ ولكن سواك من الكهول ، إذا ما نزلت بهم أشباه هذه الكوارث لا يمنعهم الهرم من الجزع .

سقراط ـ قد يكون ذاك ، ولكن هلاّ حدثتنى عما أتى بك فى هذه الساعة الباكرة ؟

كريتون ـ أتيت أحمل نبأ مؤلماً يبعث على الشجن ، لا بالنسبة إليك فيما أظن ، بل بالنسبة لنا جميعاً ـ نحن أصدقاءك ـ وهو عندى أبلغ ما يكون إيلاما

سقراط ـ ماذا ؟ أحسب أن قد عادت السفينة من ديلوس[1] ووصولها نذير بموتى ؟

كريتون ـ كلا ، لم تبلغنا السفينة بعد ، ولكنها ربما وصلت اليوم ، فقد أنبأنى أناس جاءوا من سونيوم ، أنهم خلفوها هناك ، واذن فآخر يوم من حياتك يا سقراط هو الغد .

سقراط ـ مرحى يا كريتون ، إن كانت هذه إرادة الله فمرحباً بها ، ولكنى أعتقد أن ستؤجل الأمر يوماً آخر

كريتون ـ ومن أنبأك هذا ؟

سقراط ـ هاك الخبر . إنى بالغ أجلى فى اليوم التالى لوصول السفينة

كريتون ـ نعم ، وهذا ما ينوبه أولو الأمر

سقراط ـ ولكنى لا أظن السفينة بالغتنا إلا غداً . فرأيت ذلك من رؤيا رأيتها ليلة أمس ، بل كنت أراها الآن توا ، حين تركتنى ـ لحسن حظى ـ نائماً

كريتون ـ وكيف كانت رؤياك تلك ؟

سقراط ـ جاءتنى شبيهة امرأة جميلة وسيمة ، تدثرت بثوب أبيض ، وصاحت بى قائلة : ياسقراط ، إنك ذاهب إلى أخراك فى اليوم الثالث عداً من الآن

---

(١) لايعلم على وجه الدقة إن كان هذا الحوار قد وقع بهذا النص الذى أثبته أفلاطون أم اخترعه اختراعاً ، وربما يكن من أمر فقد صور أفلاطون سقراط فى هذا الحوار ، لا فى رقاء الفيلسوف الذى يؤدى فى حياته رسالة الهية ، ولكن فى صورة ابن الوطن الصالح الذى يقبل على الموت رضى النفس مطمئن الضمير ، تنفيذاً لقوانين الدولة ، التى يرى وجوب احترامها حتى ولو كانت فى قضائها جائرة كما هى الحال فى قضيته

(١) قد كان للأثينيين شهر حرام ، يمتنع فيه إعدام المجرمين ، وهو شهر كانت تمضى فيه سفينة مقدسة إلى معبد ديلوس ، ثم تعود ثانية ، فلم يكن يجوز أن ينفذ الموت فى احد من أبناء أثينا ما دامت تلك السفينة فى رحلتها تلك . ولذلك كان لابد لسقراط بعد الحكم عليه أن يظل فى سجنه حتى تعود السفينة

كريتون ـ ما أعجبه من حلم ياسقراط !

سقراط ـ معناه ظاهر يا كريتون ، وليس فيه مجال للريب

كريتون ـ نعم إنه جلي غاية الجلاء ، ولكن ، أواه ! ياعزيزي سقراط ، دعني أتوسل اليك مرة أخرى ، أن تأخذ بنصحي فتعمد إلى الهروب ، لأنك إذا مت فان أفقد فيك صديقاً فريداً وكفى ، ولكن ثمت فوق ذلك شراً : سيزعم من لا يعرفك ولا يعرفني من الناس أني كنت أستطيع لك النجاة لو أنني رغبت في بذل المال ، ولكنني لم أعبأ بك ، أفيمكن أن يكون بعد هذا العار عاراً ـ أن يقال إني آثرت المال على حياة صديق ؟ وهيهات أن يقتنع الدهماء بأني أردتك على الفرار فرفضت

سقراط ـ وفيم العناية بحديث الدهماء ياعزيزي كريتون ؟ سترى الفئة الصالحة في ذلك رأياً صواباً يطابق ما وقع ، وهي وحدها جديرة بالاعتبار (١)

كريتون ـ ولكنك ترى ياسقراط أن رأي الدهماء لا بد من اعتباره وذلك ظاهر في قضيتك أنت ، ففي مقدورهم أن ينزلوا أفدح المحن بمن لم يظفر عندهم بالرضى كائناً من كان

سقراط ـ ليتهم يستطيعون ذلك يا كريتون فذلك كل ما أرجوه ، إذ لو استطاعوا لكان كذلك في وسعهم أن يفعلوا أعظم الخير ، فيكون ذلك منهم جميلاً . ولكنهم في حقيقة الأمر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء ، وليس في مقدورهم أن يصيّروا الرجل حكيما أو فدماً ، وكل أفعالهم وليدة المصادفة

كريتون ـ نعم ولست منازعك في ذاك ، ولكن هلاّ تفضلت فأنبأتني ياسقراط — إن كنت لا تغض النظر عني وعن سائر أصدقائك فيما تصرف من الأمر — : ألست تخشى أنك إن فررت من هذا المكان فقد يصيبنا الثامون بالضر بسبب اختطافك ، وإنا قد نفقد أملاكنا كلها أو جلها ، أو قد ينزل بنا من الشر ما هو أشد من ذلك هولاً ؟ فليطمئن قلبك إن كان ذلك ما تخشاه ، فواجب حتم علينا أن نخاطر بهذا ، وبما هو أعظم من هذا في سبيل نجاتك ، فاقتنع إذن بما أقول ، وافعل بما أشير

سقراط ـ نعم يا كريتون ، وليس هذا الذي ذكرته كل ما أخشى ، وإن يكن جانباً منه

كريتون ـ لاتخف . إن هناك نفراً يود لو ينجيك فينتزعك من غياهب السجن ، ولن يكلفهم ذلك شططا ، أما الثامون فهم كما ترى لا يشتطون في الطلب ، ويقنعهم من المال قليله . إن مالي بأسره رهن إشارتك ، وهو كاف فيما أعتقد ، فان أشفقت أن ينفد كله ، فهاهم أولاء نفر من الغرباء يعدونك بما يملكون ، وهذا أحدهم سمياس الطيبي قد أحضر معه لهذا الغرض نفسه مبلغاً من المال . وذلك سيبيس وغيره كثيرون ، يتمنون أن يبذلوا في سبيلك أموالهم ، إذن فلا تحسب لذلك حساباً ، ولا تتردد في تنفيذ الفرار . ولا تقل كما قلت في المحكمة إنك لاتدري ماذا عساك أن تفعل بنفسك إن فررت ، فأني حللت نزلت من الناس منزلاً كريماً ، وليس أذلك قاصراً على أثينا ، فثمت في تساليا ستجد من أصدقائي حماية وتقديراً إن أحببت الذهاب اليهم ، ولن تصادف بين بني تساليا جميعاً فرداً يصيبك بالأذى ؟ ولست أرى بعد هذا كله ما يبرر لك ياسقراط أن تفرط في حياتك ، والنجاة ميسورة مستطاعة . إنك لتلعب بنفسك في أيدي أعدائك وقاتليك ، بل إني لأزعم فوق هذا أنك إنما تسيء الى أبنائك ، لأنك آثرت أن ترحل تاركهم لما قسمت لهم حظوظهم وكان في وسعك أن تقوم بنفسك على تنشيئهم وتربيتهم ، فان لم يصبهم ما يصيب اليتامى عادة من قضاء ، لما استحققت عندهم من الشكر إلا قليلاً ، فليس لانسان أن يقذف في العالم بأطفال لايحب أن يستميت حتى النهاية في إطعامهم وتربيتهم ، ولكنك تختار أيسر الأمرين ، فيما أظن ، لا أحسن الأمرين وألصقهما بالرجولة ، وكان ذلك أجدر برجل مثلك يبشر بالفضيلة في أفعاله جميعاً . حقاً إني لأستحي منك بل من أنفسنا نحن أصدقاءك ، كلما دار بخلدي أن قصتك هذه جميعاً ، ستنسب الى نقص في بسالتنا ، فما كان ينبغي أن تكون المحاكمة ، أو كان يجب أن تختم بغير ما اختمت به ، وهذه النهاية التي أراها أسوأ العبث ، ستبدو للناس كأنما صادفت منا ارتياحاً ، لما أبديناه من ضعة وخور ، نحن الذين كان بوسعنا أن ننجو بك ، كما كان بوسعك أن تنجو بنفسك ، لو كنا نملك لأي شيء نفعاً (إذ لم

(١) يعبر سقراط في هذا عن رأيه الذي أخذ به في حياته ، وهو ألا يعير رأي الناس التفاتا ، وألا يصغي إلا إلى ما يمليه العقل الحكيم دون سواه كائناً ما كان وقعه عند الناس

يكن الفرار أمراً عسيراً) وسيُظن ياسقراط أنا لم نقدر أن ذلك كله سينقلب علينا وعليك بؤساً وعاراً ، ففكر إذن فى الأمر إن لم تكن قد اعتزمت بعد شيئاً ، فقد انقضت فرصة التفكير ولم يعد لديك إلا أمر واحد يجب إنجازه هذا المساء ، لو كنت تريد له إنجازاً ، فان أرجأت أمرك تعذر واستحال ، وعلى ذلك فأنا أتوسل اليك ياسقراط أن تسلس لى القياد وأن تفعل بما به أشير

سقراط ـ أى عزيزى كريتون ! ما أعز حماسك وما أنفسه ، لو كان فى جانب الحق ، أما إن كان للباطل فكلما ازداد الحماس اشتعالاً ازداد الأمر سوءاً ، فلننظر إذن إن كانت هذه الأعمال واجبة الأداء أم ليست كذلك ، فقد كنت دائماً ، وما أزال ، من تلك الطبائع التى تلتزم دليل العقل ، كائناً ما كان رأيه ، مادام يبدو عند التفكير أنه الرأى الأمثل . أما وقد أصابتنى هذه المحنة فلايسعنى أن أهمل الآن ما ارتأيته قبلاً ، فما زالت مبادئى التى طالما أجللتها وقدستها ؛ تنزل عندى منازل الاجلال والتقديس[1] . فثق أنى لن أظاهرك فى الرأى ، اللهم إلا إذا اهتدينا الآن إلى مبدإ يكون خيراً منها . نعم ، لن أصغى إليك حتى ولو زادنى الدهماء حبساً ومصادرة وموتاً ، ملقين فى نفوسنا من أراجيف الشياطين الفزعة ما نرهص به الأطفال ، فأى سبل التفكير أهدى إلى بحث هذا الموضوع ؟ أعَوْداً إلى رأيك الذى سُقته من قبل عما يقول الناس عنا ، وبعضه يستحق الاعتبار دون بعض كما سبق لنا القول ؟ أكنا نصيب لو أننا أخذنا برأيك (وهو أن يقام وزن لما يقول الناس) قبل الحكم بالأدانة ؟ أم هل ينقلب الرأى الذى كان صائباً حيناً ما ، كلاماً لمجرد الكلام ، ويتبين أنه لم يكن فى الواقع إلا عبثاً اتخذ سبيلاً للتسلية واللهو ؟ ابحث معى هذا يا كريتون : أترى أن لم يعد منطق الذى اتخذته أولاً يلائم على أية حال ما يكتنفنى الآن من ظروف ، أم لست ترى الأمر كذلك ؟ ثم هل هو حقيق عندى بالرفض أم بالقبول ؟ إن كثيراً ممن يزعمون لأنفسهم رجاحة الرأى يذهبون فيما أعتقد إلى هذا الذى أشرت اليه من قبل ، وهو أن من الناس بعضاً يجدر بآرائهم الاعتبار ، وأما بعضهم الآخر فلا يصح أن يؤبه له . وأنك يا كريتون لست مقبلاً غداً على موت ، أو ليس هناك احتمال بشرى بهذا على الأقل ، فأنت إذن حَكَمٌ صالح ، لايؤثر فيك الهوى ولا تميل بك ظروفك وموقفك عن جادة الحق . حدثنى إذن : ألستُ مصيباً فيما أزعم ، بألا نقدر من آراء الناس إلا بعضها فقط ؟ لقد أخذتُ بهذا الرأى ، وأنا أسائلك هلاّ ترانى قد أصبت فيما ارتأيت ؟

كريتون ـ ليس فى ذلك ريب

سقراط ـ ألا يجب أن نحفل بما يقوله أبرار الناس دون شرارهم ؟

كريتون ـ بلى

سقراط ـ وما يرى الحكماء فهو خير ، وما يرى غير الحكماء فهو شر ؟

كريتون ـ لا شك فى ذلك

سقراط ـ لننظر ما قيل فى غير هذا الموضوع ، هل يطلب إلى طالب التمرينات البدنية أن يصغى إلى القدح والثناء ، والى رأى كل انسان فيه ، أم يجب أن يستمع الى رأى رجل واحد فقط — هو طبيبه أو مدربه كائناً من كان ؟

كريتون ـ إنه يستمع الى رأى رجل واحد فحسب

سقراط ـ أينبغى أن يخاف اللوم وأن يرحب بالثناء بوحه ذلك الرجل وحده ، وألا يأبه للوم الناس ومدحهم ؟

كريتون ـ بدهى ما تقول

سقراط ـ ويجب أن يعيش ويُدرّب ، وأن يأكل ويشرب ، على نحو ما يبدو صالحاً لذلك العلم الأوحد ، وهو عليم بأمره ، فذلك أجدى من السير تبعاً لما يراه سوى معلمه من الناس ولو كانوا أجمعين ؟

كريتون ـ هذا حق

(يتبع)

زكى نجيب محمود

(١) يشير سقراط بهذا الحديث إلى المحاورات الكثيرة التى عقدها هو وأصحابه قبل محاكمته حول ما يجب على الانسان من حيث علاقته بالمجتمع ، وكانوا قد انتهوا من تلك المحاورات إلى طائفة من البادئ أقروها جميعاً ، وخلاصتها أنه لا يجوز لانسان أن يفعل الشر ، أو أن يرد الشر بالشر ، أو أن ينقض الحق مهما كانت الظروف . فهو هنا لا يرضى لنفسه أن يهدم تلك البادئ التى أقرها هو ومحاوروه بحجة أن ظروفه تقضى منه ذلك